

**مَهَنُ الْعُلَمَاءِ وَحِرْفَتِهِمْ فِي دِمَشْقٍ خِلَالَ
العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م)**

د. فرج محمد السبيعي

مَهَنُ الْعُلَمَاءِ وَحِرْفَتِهِمْ فِي دِمَشْقٍ خِلالِ

الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. فرج محمد السبيعي

ملخص البحث

يتناول البحث مهنة العلماء وحرفتهم في دمشق خلال العصر المملوكي ومعرفة طبيعة وتنظيم أصحاب المهن، وقد امتهن أولئك العلماء مهنة مختلفة فمنهم من عمل نجاراً أو صائغاً أو حائكاً... الخ لسد حاجتهم من المال ومنعهم من التسول أو الحاجة لبعض العامة من الناس، وقد جمع بعض العلماء بين طلب العلم أو نشره وتعليمه للناس، وبين مزاولة حرفة أو مهنة يتعيشون منه، وقد نظموا أوقاتهم بما يحقق لهم الفائدة، وفي نهاية البحث خاتمة تبين نتائج الدراسة.

Research Abstract

This research addresses the occupations and crafts of scholars in Damascus during the Mamluki era and seeks to identify the nature of these occupations and crafts and the organization of those engaged in them.

Those scholars had different occupations. Some were carpenters, others goldsmiths or weavers, etc. They sought to gain enough money for supporting themselves and their families and also for avoiding begging other people. Some scholars combined learning, teaching and spreading knowledge to people with engagement in some occupation or craft for bread winning. They managed to organize their time as to achieve all their goals. At the end of the research there is a conclusion that indicate the study findings.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين، أما بعد:

فقد تعددت الدراسات التي ركزت على التاريخ الإسلامي في بعض جوانبه السياسية والعسكرية والحضارية، غير أنها أيضاً أغفلت بعض النواحي في الجانب الحضاري والتي لا تقل أهمية في نظر الباحثين والمختصين في حقب التاريخ الإسلامي المختلفة ومناطقه الشاسعة.

ومن هذه النواحي ما تناولته هذه الدراسة الموجزة حول مهنة وحرف العلماء، حيث سلطت الضوء على مهنة وحرف العلماء في دمشق خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)، وقد دفعت الحاجة أولئك العلماء لامتهان بعض الحرف لسد رمقهم، ومنعهم من التسول عند الكبراء، أو الحاجة لبعض العامة من الناس، فمنهم من عمل صائغاً أو نجاراً أو حائكاً... إلخ.

وبذلك كان أولئك العلماء يجمعون بين طلب العلم أو نشره وتعليمه للناس، وبين مزاولة حرفة أو مهنة يتعيشون منها، وقد نظموا أوقاتهم بما يخدم ويحقق لهم الفائدة في كلا الجانبين.

وقد ساهمت مهارة بعض أولئك العلماء في تلك الحرف والمهنة في إضفاء مزيد من الشهرة لتلك الحرف وللمدينة دمشق ورواج لأسواقها، ومنحهم أيضاً مزيداً من الشهرة بالمدينة وغيرها من المدن.

تعريف المهنة والحرفة

المهنة لغة: العمل، ومهّن الرجل: عمل في صنّعه وحذق وتمرس فيها^(١).

ويمكن القول أن المهنة تتشابه مع الحرفة في مفهومها فهي الدراية بالعمل والحذق بالخدمة^(٢).

الحِرْفَةُ في اللغة: اسم من الاحتراف وهو الاكتساب يقال هو يحرف لعياله ويجرتف بمعنى يكتسب من هنا وهنا^(٣)، وقيل الحرفة هي الصناعة، والمحترف هو الصانع، وفلان حريفي، أي معاملي^(٤)، وحرفة الرجل صنّعه، وحرفته لأهله واحترف بمعنى كسب أياً كان^(٥).

والحرفة اصطلاحاً: هي الطعمة والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب، وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة^(٦).

وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا سقط من عيني»^(٧).

وهو قول يدل على أن قيمة الرجل في عمله وإنتاجه، فبقدر العطاء يكون الجزاء، واليد العاملة خير من اليد العاطلة والعليا خير من السفلى.

طبيعة وتنظيم أصحاب المهن

تعتبر الشام من البلاد التي اشتهرت بالحرفيين والصناع حيث طبقة الحرفيين من الطبقات الكبيرة ببلاد الشام، التي ارتبطت بحياة الناس اليومية وقد برز دور أفرادها من خلال توفيرهم لجميع الحاجيات الضرورية اليومية لأفراد المجتمع والتي تبين من خلالها مدى المهارة والإتقان اللذين وصل إليهما الحرفيون في مهنهم المختلفة مما جعل بلاد الشام عموماً ودمشق خاصة مقصداً للتجار، فضلاً عن شهرتها في العديد من

المهن المختلفة.

ولهذا نجد أن الحرفيين والصناع شكلوا شريحة اجتماعية كبيرة في دمشق. وتشير المصادر إلى أن أرباب المهن والصناعات أقاموا في مناطق وحارات خاصة بهم، وكانت كل حارة تسمى باسم مهنة سكانها أو الصنعة التي اشتهرت بها^(٨).

كما عمل بعض الحرفيين على أن تكون متاجرهم قريبة من المنتزهات، حيث الأماكن التي يكثر الناس من زيارتها، وذلك من أجل تسويق صناعاتهم وبيعها للمتزهين^(٩).

وكان لكل مهنة من المهن وصنعة من الصنائع شخص يقوم على مصالحها وقد عرف هذا الشخص في المجتمع الشامي باسم شيخ المهنة أو رئيس المهنة^(١٠) أو عريف المهنة^(١١) أو كبير الطائفة^(١٢) وأياً كان اسمه أو لقبه فقد كان يقع على عاتقه مهمة مراقبة أهل سوقه وأهل مهنته من جهة، ومن جهة أخرى حلقة الوصل ما بين أهل مهنته والسلطة المملوكية، فينقل إليها شكاويهم ويدافع عنها أمامهم بالإضافة إلى تنظيم العمال من أجل المشاركة في المناسبات المختلفة مثل استقبال السلاطين أو تزيين الأسواق عند الاحتفال بالانتصارات العسكرية بمناسبة الزيارات التي كان يقوم بها بعض أصحاب المناصب الرفيعة في المناسبات العامة^(١٣).

وهو الذي يقوم بجمع الضرائب والإشراف على رعاية المرضى والفقراء من أصحاب المهنة، وتحديد أجور العمال، ومواصفات السلع وأسعارها وعقد المجالس الخاصة لبحث مشاكل أهل المهن أو الحرف مع كبار الحرفيين^(١٤).

ولكل مهنة أساليب خاصة في حل المشاكل بين أصحاب المهنة الواحدة حيث يطرد الخائن والسارق ويعاقب من غش بإغلاق دكانه ولا تفتح إلا بموافقة شيخ المهنة أو الحرفة^(١٥). وكان شيخ المهنة ينتخب من معلمي المهنة أو الصناع أو المبتدئين شريطة

أن يكون من ذوي الأخلاق الحسنة والمعرفة بأصول المهنة أو الحرفة^(١٦).

التكسب بالشهادة:

بالنسبة للتكسب بالشهادة هم مجموعة من الكتاب الثقات العارفين بشؤون العقود والكتابة، كانت مهمتهم التأكد من صحة العقود والتوقيع عليها، منعاً من حدوث مشكلات يسببها في المستقبل، وهم أصلاً موظفون عند القاضي، وكانوا ينتقون من أهل العلم والصلاح والعدل، وتشبه مهمتهم مهمة الكتاب العدول^(١٧) في وقتنا الحاضر.

كان الشهود يحضرون إلى الدكان أو محل مخصص لكتابة العقود التجارية في السوق وفي حال إبرام عقد يشهدون عليه ويكتب الكاتب العقد بين البائع والمشتري وللكتاب أمر معلوم وللشهود أيضاً نسبة متفق عليها من قيمة الصفقة التي تمت بين الطرفين^(١٨).

ولا يقوم بهذه المهنة أي شخص حتى تتوفر فيه عدة شروط منها حسن الخط وترتيب اللفظ وبتوسع في العلوم الشرعية ومعرفة النقود والمكايل^(١٩) كما يستعين بهم القاضي في التقديد والتمين ويعتبر قرارهم ملزماً للأطراف المتنازعة^(٢٠).

وكان الشهود يجلسون في باب جيرون^(٢١) في دكاكين، في الدكان الواحد ما بين الخمسة والستة من الشهود^(٢٢) وبالقرب من مركز القاضي^(٢٣). بينما أحياء دمشق الأخرى كان الشهود فيها متوزعين في طلب كسب الشهادة من الناس^(٢٤). وللشاهد أجر على شهادته فقيل الأجر المدفوع دينار، وقيل درهماً^(٢٥).

ومن احترف هذه المهنة من علماء دمشق شمس الدين محمد بن عبدالرزاق بن رزق الله (ت ٦٨٩هـ / ١٢٨٩م) كان من كبار الشهود^(٢٦). وعبدالرحمن بن محفوظ بن هلال (ت ٦٩١هـ / ١٢٨٩م) أحد الشهود عند باب الساعات^(٢٧) كان عادلاً

صالحاً^(٢٨)، وعماد الدين محمد بن علي البالسي برز في علم الحديث وقد خرَّج له الذهبي معجماً (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) كان محموداً في الشهادات^(٢٩)، وعبدالمعمر بن فتوح بن عوض (ت ٧٢٤هـ/ ١٤٢١م) من الشهود في باب الساعات^(٣٠)، وسليمان بن هلال أبو الفضل (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)^(٣١) وبهاء الدين عيسى بن عبدالكريم الدمشقي، برز في علم الحديث (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) كان يرتزق من الشهادة^(٣٢)، وأحمد بن محمد بن عبدالله بن شهاب الدين (ت ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) يتكسب بالشهادات في حوانيت الشام^(٣٣)، وسعد بن يوسف بن صدر الدين، برز في علم الحديث (ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م)^(٣٤)، وعلي بن حسن بن جعفر العلاء (ت ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) كان جالساً في دكان يتجر بالثياب ثم ترك هذا الدكان وأخذ يعمل في طلب المال بالشهادة في دمشق^(٣٥)، ومحمد بن محمد بن علي بن أبي بكر (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)^(٣٦)، وإبراهيم بن محمد بن برهان الدين، برز في علم الفقه (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م)^(٣٧)، وممن امتهن هذه الحرفة زين الدين سالم البلقاوي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) اشتغل بالعلم وكان شاهداً عند الجامع الأموي^(٣٨)، وشمس الدين محمد الطويل (ت ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) بباب الجامع الغربي كان حافظاً للقرآن ملازماً لصلاة الجماعة^(٣٩)، وعبدالرحيم بن حسن بن علي (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م)^(٤٠)، وإبراهيم بن إبراهيم بن محمد النووي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)^(٤١)، وشمس الدين محمد بن أحمد (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)^(٤٢)، وعمر بن عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)^(٤٣)، وأحمد بن خليل بن أحمد بن أبي بكر الشهاب، له باع في علم الحديث (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م) كان يتكسب بالشهادة بباب البريد^(٤٤) حتى توفي^(٤٥)، وشهاب الدين الشارعي (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) كان شاهد عند أبواب القضاة بدمشق^(٤٦)، وإبراهيم بن علي بن إبراهيم بن برهان الدين (ت بعد ٩٠٢هـ/ ١٢٩٧م)^(٤٧)، وبدر الدين حسن بن التاج (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٧م) كان شاهداً

بمركز باب السريجه^(٤٨)، وكانت هذه المهنة مصدر رزقه^(٤٩)، وبرهان الدين إبراهيم بن محيي الدين (ت ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)^(٥٠).

النُّجَارَةُ:

عرفت هذه الصناعة قديماً في بلاد الشام وازدادت أهميتها لحاجة الناس لها ولزيادة متطلباتهم للمصنوعات الضرورية لاسيما أن بلاد الشام كان يتوفر فيها الأخشاب اللازمة وخاصة خشب الجوز والصنوبر والسندبان والبلوط وغيرها^(٥١).

وقد برع النجارون في استعمال مهاراتهم وأساليهم الفنية في إعداد مصنوعاتهم وإتقانها والبراعة في تجميلها وتزيينها بعدما تعرفوا على خصائص أنواع الأخشاب^(٥٢).

وكان في دمشق العديد من الأسواق (أي أسواق الأثاث المنزلية المصنوعة من الخشب) المختصة بهذه الحرف وكان حرفيو هذه المهنة موزعين داخل مدينة دمشق فقسم منهم بالقرب من الباب الصغير كما وجد سوق أخرى في صالحة دمشق مثل سوق الخشابين وهذا السوق يقع خارج باب الصغير^(٥٣)، وسوق العلبين^(٥٤) وموقعه قرب قنطرة أم حكيم^(٥٥).

وأبرز ما اشتهرت به مدينة دمشق في مجال التجارة هي صناعة الأبواب والكراسي والسقوف الخشبية للبيوت^(٥٦) وصناعة الصناديق الخشبية التي تعمل من خشب الجوز بمتانتها وجمال نقوشها المحفورة عليها، وأيضاً صناعة السفن وآلات الحصار^(٥٧).

وهذا يدل على أن الصناعات الخشبية كانت رائجة وسوقها مزدهرة والحاجة إليها متزايدة والرعية في العمل فيها متنامية لما فيها من الكسب الحلال وزيادة الدخل

وارتقاء المعاش.

وقد برع بعض العلماء في دمشق في هذه الحرفة ومنهم محمد بن محمد بن عمر بن خواجا (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) والذي تعلم أيضاً الحدادة وأصبح يجمع ما بين الحرفتين وكانت تدر عليه أموالاً كثيرة^(٥٨) ويمكن القول أن العالم لم يجمع ما بين حرفتين إلا إذا سمح له الوقت بين طلب العلم وكسب الرزق.

النَّشَارَةُ^(٥٩).

يذكر أن في مدينة دمشق سوق يطلق عليه سوق: النشارين^(٦٠) وممن عرف بهذه المهنة محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن جلال الدين (ت ٨٦٦هـ / ١٣٦٢م)^(٦١). لم تذكر المصادر التي اطّلت عليها إلا هذه الشخصية.

الوَرَاقَةُ:

تعد مهنة الوراقة وثيقة الصلة بالحركة العلمية تأثراً وتأثيراً فإذا نشطت الحركة العلمية وكثر التأليف ازداد الطلب وكثر الوراقون والنساخون إذ تعد الوراقة عاملاً مساعداً على النشر العلمي وتقديمه^(٦٢).

يقول ابن خلدون عن الوراقة: (وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية)^(٦٣).

والوراقة مهنة من أفضل الصنائع، يقول السبكي (وهي من أجود الصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدتهم)^(٦٤). وقد ذكر لصاحب هذه المهنة (الوراق) جملة من الآداب منها: التحري في بيع الورق وطرق النسخ وأساليبه والهيئة التي يكون عليها الناسخ من الدين والأمانة والدقة في النسخ إلى غير ذلك^(٦٥).

وقد أشار بعض المؤرخين بمعامل الورق الجيد الذي اشتهرت به دمشق يقول ابن طولون^(٦٦) (ومن محاسن الصالحية صنع الورق ولا يصنع إلا بهاء ومنها يجلب إلى سائر الدنيا) ويقول أبو البقاء البدرى^(٦٧) (ومنها تعمل صناعة القراطيس بحسن صقالة ونقي وأصالة) ومهر أهل دمشق بفن تجليد الكتب^(٦٨).

وبسبب ازدياد استخدام الورق انتشرت عملية البحث عن الكتب النادرة وشرائها ومن ثم بيعها، وكانت أسواق دمشق تعج ببيع الكتب والوراقين كما امتلأت جوانبها بالنساخين والخطاطين وغدت مصدر رزق لعدد كبير من الناس بما فيهم العلماء^(٦٩).

النساخون والخطاطون:

ارتبطت مهنة الوراقة بمهنة النسخ والخط واشتهر بدمشق عدد من العلماء الذين امتهنوا حرفة النسخ والخط ليتكسبوا منها، فكانت مصدر رزق لهم بعد الله عز وجل منهم أحمد عبدالدايم نعمة الحنبلي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) الذي عرف عنه أنه كان يكتب بخط مريح بسرعة لا توصف مقارنة بمن كان يعمل في هذه المهنة في وقته حتى قيل أنه كان في حالة تفرغه يكتب في اليوم كراريس أو أكثر ويكتب الكراسين والثلاثة مع اشتغاله في يوم وليلة ظل ملازماً للنسخ خمسين سنة^(٧٠).

ويوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) نسخ بنفسه بالأجرة^(٧١) وجمال الدين أبو بركات بن محمد بن عمر (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) الذي كان ناشراً ماهراً^(٧٢) وأبو عمرو عثمان إبراهيم، برع في علم القراءات (ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م)^(٧٣) وكذلك يوسف بن محمد بن عثمان السرخسي، برز في علم الحديث (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) كان ينادي على الكتب بدمشق ونسخ كثير من الكتب وكان يقول قبلت بألف درهم ويبدو أنه كان دلالاً للكتب وفي نفس الوقت ناسخاً يجمع ما

بين المهنتين^(٧٤). وأيضاً أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين (٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فقد كان جيد الكتابة قيل كان يبيع كل نسخة من البخاري بخطه بألف درهم، وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس^(٧٥) وعمر بن محمد بن عثمان الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) كان رئيس في النسخ حتى تخرج على يده جماعة في الكتابة وحصل بذلك مالاً جماً حتى قيل حصل له من التكتيب خمسة آلاف دينار^٧ وكتب بخطه كثيراً من المجلدات^(٧٦). وهذا يدل على حسن خطه وجمال كتابته.

وأيضاً محمد بن عبد الحميد بن سليمان الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) كان له حانوت بالوراقين بالصالحية^(٧٧) وصلاح الدين بن أيك بن عبدالله الصفدي (٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) الذي احترف في المتاجرة بالكتب وهو مؤرخ مشهور ومعروف قام بتأليف تاريخه الكبير من عدة أجزاء والذي سماه الوافي بالوفيات^(٧٨).

وعلي بن محمد بن عبدالله بن القرخي (ت ٨١٤هـ / ١٤١١م) كان يتكسب بالنسخ^(٧٩)، وعلي بن عبدالكريم بن نور الدين (ت ٨٤٢هـ / ١٤٤٢م) كان ناسخاً عارفاً بالكتب وأثمانها^(٨٠)، وأحمد بن أحمد بن محمود بن موسى الشهاب، عالماً بالقراءات (ت ٨٦٥هـ / ١٤٦١م) كان يتكسب بكتابة المصاحف كان متفنناً في الخط يقصده الناس من أطراف الشام لحسن وجمال خطه^(٨١).

وشهاب الدين أحمد الصالحي (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) كان ناسخاً بارعاً في مهنته^(٨٢) ومحمد بن أحمد بن أحمد الدمشقي، برز في علم القراءات (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) كان يتكسب من كتابة المصاحف وقد تعلم هذه المهنة من أبيه الذي هو كان بدوره خطاطاً متميزاً على أقرانه^(٨٣).

يتضح مما أوردناه عن العلماء الذين اشتغلوا بمهنة النسخ واتخذوها مصدراً للتكسب أن منهم من كان ينسخ ومن كان يبيع ومن كان ينادي ومن كان حسن الخط

سريع الكتابة كثير الإنتاج، وأن بعضهم امتهنها لأول مرة حتى مهر فيها، ومنهم من ورثها عن آبائه وأجداده غير أن أهم ما نلاحظه أن هؤلاء العلماء كفوا أنفسهم بالعمل في هذه المهنة التي تعد من المهن العادية في ذلك الوقت، كفوا أنفسهم مشقة الوقوف على أبواب السلاطين، فحفظوا ماء وجوههم وصانوا كرامتهم وارتفع شأنهم بين الناس.

الحياكة والنسيج^(٨٤):

الحياكة والنسيج حرفتان متكاملتان لا تستغنى الواحدة عن الأخرى من حيث تكاملها فيما بينها أي لا يمكن ممارسة مهنة الحياكة دون أن تتوفر المنسوجات التي بواسطتها يتم للحائكين ممارسة عملهم^(٨٥)، يؤكد على ذلك ابن خلدون بقوله: "هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر في الرقة... وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة كما أن الدفء ضروري للبشر في العمران"^(٨٦).

وقد عرفت بلاد الشام مهنة الحياكة والنسيج منذ العصور القديمة السابقة للإسلام وتقدمت في هذه الصناعة بعد ذلك صناعة النسيج مدناً شامية عديدة على رأسها مدينة دمشق^(٨٧).

وأهم الأقمشة التي كانت تصنع آنذاك الكتانية، والقطنية والحريرية ويذكر أبو البقاء (ومن محاسن الشام، ما يصنع فيها من القماش والنسيج على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه. ومنها عمل القماش الأطلس^(٨٨) بكل أجناسه وأنواعه، ومنها القماش الهرمزي على اختلاف أشكاله وتباين أوصاله. ومنها عمل القماش الأبيض القطني المصور لإحياء القصور، وأموات الثبور وبها أيضاً عمل القماش السابوري^(٨٩) بجميع ألوانه وحسن لمعانه)^(٩٠).

وقد برز عدد من المهنيين في هذه الصناعة منهم أحمد بن موسى أبو العباس

الزرعي، من كبار أصحاب الشيخ ابن تيمية (ت٧٦١هـ / ١٣٦٠م) كان يأكل من عمل يده من صناعة العبي^(٩١) من صوف الأغنام والماعز، فكان إذا باع العباءة أخذ عنها فإن زادت عن قيمتها يترك الزيادة^(٩٢)، أي أنه كان يتق الله في البيع مخافة أن يأخذ من السعر تحريماً للصدق في المعاملة وهو ما يتيقن أن يكون عليه كل تاجر.

والجدير بالذكر هناك سوق يطلق عليه سوق العبيين، وكان لهم سوقان في أسفل سوق البزوريين، وعندما يتعطل واحد منهما كان أصحابه ينقلون إلى السوق الآخر^(٩٣).

ومحمد بن أحمد بن تمام، الزاهد العابد برز في علم الحديث (ت٧٤١هـ / ١٣٤١م) خياط ينكسب من عمل يده^(٩٤)، وأحمد بن عبدالله بن أحمد بن معجم (ت٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) يتكسب من حانوت يبيع فيه القز^(٩٥) بالصالحية^(٩٦). وإبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، كان إماماً بارعاً في علوم كثيرة لا سيما في معرفة الأعشاب والرياضة (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) وامتحن صناعة الخياطة ونها^(٩٧).

وأحمد بن ناصر بن شهاب الدين، برع في علم الفقه (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) كان حائكاً للملابس فترة من الزمن ثم أخذ يتاجر في البز^(٩٨) في أسواق دمشق^(٩٩) وعلي بن أيوب الماموزي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠١م) ينسج بعمل يده ويبيع ما ينسجه بأغلى ثمن فيأكل منه هو وأسرته ويبدو أنه بارعاً في خياطة النسيج بدليل أنه يبيع ما ينجزه من عمل بثمن باهظ^(١٠٠). دون أن يذكر المصدر قيمة هذه الأثمان.

ومحمد بن أحمد بن يوسف (ت٨٢٦هـ / ١٤٢٣م) كان حايكاً ماهراً تمرس في مهنة الخياطة حتى أصبح رئيس الخياطين يعلم الخياطين فن الخياطة في زمانه^(١٠١).

وكذلك علي بن حسين بن عروة الدمشقي، عالماً زاهداً، برز في علم الحديث (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٤م) كان زاهداً في الدنيا لا يزيد عن لبس عباءة ويتكسب من

عمل يده فينسج العبي ويسد حاجته منها^(١٠٢).

وأحمد الشهاب الأقباعي الدمشقي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) يتكسب من خياطة الأقباع ولذلك نسب اسمه إلى هذه المهنة^(١٠٣) وهناك سوق يطلق عليه سوق الأقباعيين^(١٠٤) تباع فيه أقباع الفلاحيين والبدو^(١٠٥).

الجدير بالذكر أن من أكثر منسوجات بلاد الشام رواجاً العباءات على اختلاف أنواعها ومنها الخشنه التي يلبسها الفلاحون، وحياتها في المتانة وبها ألوف من الأنوال^(١٠٦) وذلك لتوفير مادتها الأولية ولأنها لباس عامة الفلاحين^(١٠٧).

وعبدالرزاق بن احمد بن أحمد بن موسى (ت ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م) تكسب من خياطة الحرير^(١٠٨)، وبركة بدر الحلبي (ت ٩٠١هـ / ١٤٩٥م) قدم من حلب في مستهل حياته واستقر به الأمر في دمشق وعمل في دكان له بسوق جقمق في بيع الثياب^(١٠٩) حتى توفي^(١١٠).

الدَّالَّةُ

كان الدلال يعمل في الأماكن التجارية وبخاصة في الأسواق، وغالباً ما كان الباعة يعرضون بضائعهم على الأرصفة في الأسواق، وكان الدلال (أو المنادي) يقوم بالدعاية لمحاسن هذه البضاعة وأثمانها على مسامع الناس، وكان ذلك نوع من أنواع جذب المشتري إلى البضاعة حتى لو لم يبيع أي شيء^(١١١) وهي مهنة لا تزال تُمارس حتى في أيامنا هذه وإن شملها التطور الذي حدث في المجتمع فصار لها أمكنة خاصة بها وجهات متخصصة فيها، وهي من المهن المضمونة الكسب قل أو كثر.

وقد مارس هذه المهنة بعض علماء دمشق مثل أحمد بن سلامة بن إبراهيم أبي الخير (ت ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)^(١١٢)، وعمر بن علي بن عثمان بن محمد (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)^(١١٣).

العطارة^(١١٤) :

وهي من المهن التي اشتهرت بها دمشق وامتعتها بعض علمائها الذين برعوا في صناعة العطور وذلك لكثرة الرياحين والورود، والأزهار، وقد وصف شيخ الربوة طرق تقطيرها في قرية المزه^(١١٥) بقوله: "إن العطر وغيره كان يستخرج في المزه من ضواحي دمشق من زهورها وورودها حتى إن حراقتة تلقى على الطرقات وفي دروبها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير ويكون ألد من المسك إلى مدة انقضاء الورد"^(١١٦). وكان يخصص للعطارين بدمشق سوق بالقرب من الجامع الأموي عرف بسوق العطارين^(١١٧).

ومن عمل في هذه المهن من علماء دمشق خلال فترة الدراسة، أحمد بن شيبان بن حيدرة بدر الدين (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)^(١١٨) وشهاب الدين بن حجي (ت ٧٩١هـ / ١٣٩٢م) وكان له دكان بدمشق يبيع فيه العطر^(١١٩) وكذلك أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٧م) الذي كان عطاراً يبيع الأعشاب والعطور في سوق العطارين^(١٢٠).

الزراعة :

ارتبط النشاط الزراعي في بلاد الشام بسقوط الأمطار وكانت جودتها وكميتها تعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار وقد أدى موقع البلاد وطبيعة التضاريس إلى اختلاف واضح في نماذج المناخ، وكان تعدد المناخات في مساحات قليلة العرض من العوامل المساعدة على وجود مناطق زراعية متنوعة فيها^(١٢١).

وقد امتهن علماء دمشق خلال فترة الدراسة مهنة الزراعة لتحصيل قوته من المحاصيل الزراعية فمنهم، أحمد بن الحسن بن يوسف الكواشي، برز في علم التفسير (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) كان يعمل في بساتين له ثم يحصدها وقت الحصاد ويأخذ منه

ما يحتاج له ولأسرته ويعطي الفقراء والمحتاجين الساكنين حوله، فكان يفعل هذا كل سنة حتى كثر زرعه وزاد محصوله الزراعي، وكان لا يقبل من أحد هدية^(١٢٢).

والحسن الكردي ت(٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) كان يقيم بالشاغور^(١٢٣) في بستان له يأكل منه ويزرع فيه أنواع المحاصيل الزراعية ويطعم من يزوره أو يمر عليه^(١٢٤).

الصياغة:

هي مهنة الصائغ، وصاغ الشيء أي هياؤه على مثال مستقيم وسكبة عليه فانصاع^(١٢٥).

وقد اهتم الإنسان منذ أقدم العصور بالزينة وهذا الاهتمام دفعة إلى التفنن في صياغة وصناعة الأدوات الثمينة وحين تفنن الصياغ في صياغة الذهب والفضة وتفننوا في تصويرها ووضع الأحجار الكريمة عليها^(١٢٦) وممن عمل في هذه المهنة أحمد بن عثمان بن شهاب الدين والد الحافظ أبي عبدالله شمس الدين الذهبي(٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) الذي عمل في صناعة الذهب فبرع فيه وتميز حتى عرف بالذهبي نسبة إلى مهنته التي عمل فيها^(١٢٧). وكان أبو عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٧م) كبير الذهبين في زمانه^(١٢٨).

الحدادة:

وهي من المهن القديمة المهمة المتقدمة في بلاد الشام، وقد ساعد على تقدم هذه الصناعة توفر معدن الحديد في بلاد الشام. ولقد قام الحدادون بصناعة الكثير من الأدوات الحديدية فنجد محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الدمشقي (ت ٧٢١هـ / ١٣١٩م) كان يتكسب في صناعة السكاكين^(١٢٩). هذه كانت من أكثر المهن انتشاراً منذ القدم.

الخاتمة

لقد خلصت الدراسة إلى بعض النتائج التي يمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: لقد أدت كثرة الأسواق في دمشق وتنوع أنشطتها إلى كثرة المهنيين والحرفيين بها، ولم يقتصر ذلك على عامة الناس بل شمل أيضاً طبقة العلماء.

ثانياً: أن الدراسة أبرزت ما عُرفت به كل مهنة أو حرفة من تنظيم وآداب ومكان السوق لتلك المهنة وبرز منتجاتها.

ثالثاً: كشفت الدراسة عن الدور الذي ساهم به العلماء في الناحية الاقتصادية وذلك من خلال اشتغالهم بتلك الحرف والمهن التي بلغت إحدى عشرة، ووفرت للناس حاجاتهم اليومية من تلك الصناعات وغيرها.

رابعاً: أوضحت الدراسة الدور الذي ساهم به العلماء في نشر بعض الحرف والمهن وبروزها في تلك الحقبة كالإقباعي والذهبي والكتبي والخياط وغيرهم حتى عرفوا بها، أو عُرفت بهم، بل أصبح البعض منهم رئيس طائفة مهنته.

خامساً: أبرزت الدراسة عدداً من العلماء ممن اشتغل بمهنة لم يُعرف بها العلماء بكثرة ألا وهي مهنة الشهادة، أي التكسب من الشهادة عند إبرام العقود وعند القضاة، ويبدو أنها أسهل المهن.

سادساً: أن مهنة الوراق والنسخ تأتي بعد مهنة التكسب بالشهادة من حيث عدد العلماء المشتغلين بها.

سابعاً: أن اشتغال أولئك العلماء بالمهن والحرف وفر لهم مستوى معيشي جيد ضمن لهم بالتالي حياة كريمة، بل إن البعض قد أثرى من مهنته أو حرفته ثراءً كبيراً.

ثامناً: وقد بينت هذه الدراسة بعض الجوانب الحياتية لأولئك العلماء وما برزوا فيه من علوم، ومن أخذ عنهم من علماء وطلاب للعلم، وأبرز إنتاجهم العلمي. وأمل أن تُسهم هذه الدراسة في خدمة الباحثين حول تاريخ مدينة دمشق وما زخرت به من علماء برزوا وساهموا في الجانب العلمي والاقتصادي والاجتماعي على حد سواء.

الهوامش والتعليقات:

- (١) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م، ج ٤، ص ١٤٥.
- (٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٤٥.
- (٣) الأزهرى، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالله درويش، القاهرة، ج ٥، ص ١٦.
- (٤) الجواهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت، ١٩٨٤م، ج ٤، ص ٣٤٣.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٩٠.
- (٦) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ/ ١٨٠٥م) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبدالفتاح الحلوى، الكويت، ١٩٨٤م، ج ٢٣، ص ١٢٤ - ١٣٣ - ١٣٤.
- (٧) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٣، ص ١٣٤.
- (٨) فؤاد العادل، المجتمع الشامي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ١٦.
- (٩) أبو البقاء، عبدالله بن محمد البدرى، (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، ط ١، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧٨.
- (١٠) فؤاد العادل، المجتمع الشامي، ص ١٧.
- (١١) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ٢٠٦.
- (١٢) ابن بسام، محمد بن أحمد، (ت بعد ٨٨٤هـ/ ١٤٧٤م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسم الدين السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م، ص ١٣.
- (١٣) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، ص ٢٢٣.
- (١٤) محمد حسين، محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ط ١، دمشق، الأوائل،

٢٠٠١م، ص ١٩٧.

(١٥) محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٩٨.

(١٦) كيال منير، فنون وصناعات دمشقية، ص ٢٠٦؛ محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ١٩٨.

(١٧) البصروي، علاء الدين علي بن يوسف (ت ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م) صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك (تاريخ البصروي) تحقيق: أكرم حسن العلي، دمشق، دار المأمون للتراث، ص ٥٧ الحاشية رقم ٢.

(١٨) الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق: لطيفة الحسني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٥٨.

(١٩) الونشريسي، المنهج الفائق، ص ٢٥٩؛ متعب بن حسين القشامي، أضواء على الحرف والصناعات بمكة المكرمة من خلال كتاب العقد الثمين للفاسي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد الحادي والستون، ٢٠١٠، ص ٣٨٨.

(٢٠) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٦٢١ - ٦٢٢؛ متعب القشامي، أضواء على الحرف والصناعات، ص ٣٨٨.

(٢١) باب جيرون: هو الباب الشرقي للمسجد الأموي وهو من أكبر أبواب الجامع وله دهليز كبير (المنجد، صلاح الدين، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط ١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٧م، ص ٢٥٨).

(٢٢) أكرم حسن العلي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ط ١، دمشق، الشركة المتحدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٦٨.

(٢٣) العلي أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ٢١٢.

(٢٤) العلي أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ١٦٨.

(٢٥) الونشريسي، المنهج الفائق، ص ٢٩١.

- (٢٦) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٣٧١.
- (٢٧) باب الساعات: هو أحد الأبواب الشرقية لمدينة دمشق ويعرف اليوم بباب توما (ابن المبرد، يوسف بن حسن، (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م) رسائل دمشقية، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، ط١، بيروت، دار الكثير، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٤٩ حاشية رقم ٤٩).
- (٢٨) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٧٦.
- (٢٩) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص٢٩.
- (٣٠) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه: عبدالوارث محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٥٢.
- (٣١) الكتبي، محمد بن شاکر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج٢، ص٨٢.
- (٣٢) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص١٢٣.
- (٣٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٤١.
- (٣٤) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط٢، بدون، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج٥، ص١٠٠ - ١٠١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢٧.
- (٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١٨٩.
- (٣٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص١٣٠.
- (٣٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٣٩.

- (٣٨) البصروي، تاريخ البصري، ص ٥٢.
- (٣٩) البصروي، تاريخ البصري، ص ٥٧.
- (٤٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٥١.
- (٤١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٨.
- (٤٢) ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٢١هـ/ ١٥١٥م) مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج ١، ص ٥١.
- (٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٨٦.
- (٤٤) باب البريد: بالقرب من الجامع الأموي ويقع شمال غرب الجامع وفيه عدد من الأسواق التجارية (ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٦٥، حاشية رقم ١).
- (٤٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٤٣.
- (٤٦) البصروي، تاريخ البصري، ص ١٥٧-١٥٨.
- (٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٦٢.
- (٤٨) باب السريجة: من أحياء دمشق التي قامت خارج السور، ويقع إلى الغرب من باب الجابية. انظر: البصروي، تاريخ البصري، حاشية رقم ١، ص ٢٣١.
- (٤٩) البصروي، تاريخ البصري، ص ٢٣٢.
- (٥٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٣٠٨.
- (٥١) محمد كرد علي، خطط الشام، ط ٢، دمشق، مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٢٠٧.
- (٥٢) رنا سعد الحمود، حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي، جامعة اليرموك، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م (رسالة ماجستير) ص ٣٠.
- (٥٣) ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٩.

- (٥٤) العليين، جمع علي وهو صانع الأواني الخشبية من علب ومجامع ومخاصر (القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، ط ١، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٤٣).
- (٥٥) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨٨.
- (٥٦) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م، ص ٧٣٠ - ٧٣١.
- (٥٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ٢٠٧-٢١٥.
- (٥٨) ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة، ج ٤، ص ١٢٧.
- (٥٩) النشارة: هم نشاروا الخشب بمختلف أنواعه كالجوز والصفصاف، القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج ٢، ص ٤٨١.
- (٦٠) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨٧.
- (٦١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٥٣.
- (٦٢) ناصر محمد الحازمي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٦٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٩٢.
- (٦٤) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٤٦٣م) معيد النعم ومبيد النعم، ضبطه: محمد فتحي النادي، ط ١، القاهرة، مؤسسة العلياء، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ١٥٤.
- (٦٥) ابن جماعة، بدر الدين (ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٧٤؛ ناصر محمد الحازمي، الحياة العلمية، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.
- (٦٦) ابن طولون، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصوالحية، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٢٢٤.

- (٦٧) أبو البقاء، نزهة الأنام، ص ٢١٤.
- (٦٨) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني وحتى نهاية العصر لقاطمي، دمشق، دار الفكر، ص ٢٤٠.
- (٦٩) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص ٢٤١.
- (٧٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ج ١٤، ص ٣١٩؛ الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) الوافي بالوفيات / اعتناء إحسان عباس، بيروت، فرانز شتايز شنة تغارت ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ٧، ص ٣٤.
- (٧١) الكتبي، فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٤٠.
- (٧٢) الذهبي، العبر في خبر من غير، ج ٣، ص ٣٦٠.
- (٧٣) الذهبي، ذبول العبر في خبر من غير، ج ٤، ص ٢٥.
- (٧٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٩١.
- (٧٥) بن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٣٨١.
- (٧٦) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١١١.
- (٧٧) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٧٨) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤٩-٥٠، ابن العماد الحنبلي، عبدالحفي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٦٠م)، شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ج ٨، ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٧٩) المقرئ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد عثمان، ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ج ٢، ص ٣٥٣، ابن حجر

- العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص٨١، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣٣٢.
- (٨٠) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص٨١.
- (٨١) السخاوي، الضوء اللامع. ج١، ص١٨٦.
- (٨٢) ابن طولون، مفاكهة الخلان، د١، ص٢٢.
- (٨٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٦٣.
- (٨٤) النسيج: مأخوذ من نسج الثوب ينسجه نسجاً والمنسج بكسر الميم الأداة التي يمد عليها الثوب ينسج، الجوهرية، الصحاح تاج اللغة، ج١، ص٤٣٣.
- (٨٥) متعب القشامي، أضواء على الحرف والصناعات، ص٣٨٥.
- (٨٦) ابن خلدون، المقدمة، ص٢٧٠.
- (٨٧) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص١٩٣.
- (٨٨) الأطلس: نسيج حريري معروف ويسمى بالأطلس أبي الأصلح لأنه لا تحمل له (رنا سعد الحمود، حرف وصناعات بلاد الشام. ص١٣).
- (٨٩) السابوري، نسبة إلى مدينة سابور الواقعة في بلاد فارس (الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) دار الكتب العلمية، ص١٥٣).
- (٩٠) أبو البقاء، نزهة الأنام، ص٢١٤.
- (٩١) عَيِّي: هي ملابس واسعة تحتوي على خطوط سود كبار (ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص٧٦).
- (٩٢) بن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٢٣٢؛ ابن مجد العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص١٩٠.
- (٩٣) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص٩٦؛ قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٩م، ص٤٤.
- (٩٤) الذهبي، ذبول العير، ج٤، ص١٢١-١٢٢.

- (٩٥) القز: اسم عام يطلق على اليرقة المنتجة للحريز واهتم أهل الشام بتربيتها وتفقسيتها وعلفها وقطف الشرائق، الأنطاكي، داود عمر (ت ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م) تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب، شرحها: علي شيري، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٥).
- (٩٦) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج ١، ص ٩٨؛ المقرئ، درر العقود، ج ١، ص ١٩٣.
- (٩٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ١٦٦.
- (٩٨) البز: الثياب من الكتان أو القطن (ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٢٣٩، الحاشية رقم ١).
- (٩٩) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩.
- (١٠٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٧٥.
- (١٠١) المقرئ، درر العقود، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٣٧٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٩١.
- (١٠٢) المقرئ، درر العقود، ج ٣، ص ١٠٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٣٧.
- (١٠٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٢٢٦.
- (١٠٤) سوق الأقباعيين: نسبة لمن يصنعون الطواقي من الجلد ومركز هذا السوق كان تحت سوق الطواقين، واقتصر على بيع الأقباع (ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٦؛ القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج ٢، ص ٤٦١).
- (١٠٥) ابن المبرد، رسائل دمشق، ص ٧٦.
- (١٠٦) الأنوال: النول خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب والجمع أنوال، (ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٦٤٨).
- (١٠٧) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٤.
- (١٠٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ١٧٠.
- (١٠٩) سوق جقمق: بناه نائب دمشق جقمق الدوادار سنة (٨٢١ - ٨٢٣هـ / ١٤١٦ - ١٤١٨م)

- ويقع السوق المذكور قرب خان (التكية) أو (الدكة) كما يسمونه في أول سوق مدحت باشا اليوم وكانت تباع فيه الثياب (البصروي، تاريخ البصروي، ص ١٨١ الحاشية رقم ١).
- (١١٠) البصروي، تاريخ البصروي، ص ١٨١.
- (١١١) إبراهيم زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمملوكي، دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٤٢.
- (١١٢) الذهبي، العبر في خير من غير، ج ٣، ص ٢٤١، المقرئزي، درر العقود، ج ١، ص ٩٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣٠٢.
- (١١٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٠٦.
- (١١٤) العطارون: هم من يبيعون للناس العطور والنباتات الطبية وبعض ما يتعلق بأغراض التجميل (عبدالعزیز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط ١، الدوحة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥م / ص ٢٥٤).
- (١١٥) المزه: قرية قريبة من دمشق، وقد أصبحت اليوم ضاحية من ضواحي المدينة (المقدسي، رسائل دمشقية، ص ٣١، حاشية رقم ٥).
- (١١٦) شيخ الربوة: محمد بن أبي طالب (ت ٧٢٧هـ / ١٢٢٩م) نخبه الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار العرب، ٢٠١٣م، ص ١٩٤.
- (١١٧) ابن المبرد، رسائل دمشقية، ص ٨١.
- (١١٨) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٣١٢، ابن العلماء الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٦٨١.
- (١١٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٨، ص ٣٢٩.
- (١٢٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٧٢.
- (١٢١) محمد أحمد زيود، حالة بلاد الشام الاقتصادية، ص ٨٦.
- (١٢٢) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ١، ص ٢٧٨.

- (١٢٣) الشاغور: أحد أحياء دمشق القديمة (المقدسي، رسائل دمشقية، ص٤٧، حاشية رقم ٤).
- (١٢٤) ابن كثير: إسماعيل بن علي (ت٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو مسلم ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج١٤، ص١٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص١٤٦.
- (١٢٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٤٤٢.
- (١٢٦) رنا سعد حمود، حرف وصناعات بلاد الشام، ص٨٨.
- (١٢٧) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٣٨٦.
- (١٢٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢١٤.
- (١٢٩) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٤٩.

المصادر

- الأزهري، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م). تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالله درويش، القاهرة.
- الأنطاكي، داود عمر (ت١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م). تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب، شرحها: علي شيري، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ابن بسام، محمد بن أحمد (ت٨٨٤هـ / ١٤٧٤م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٨م.
- البصروي، علاء الدين بن علي بن يوسف (ت٩٠٥هـ / ١٤٩٩م). صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك (تاريخ البصروي) تحقيق: أكرم حسن الحلبي، دمشق، دار المأمون للتراث.
- أبو البقاء، عبدالله بن محمد البدري (ت٨٨٣هـ / ١٤٨٢م). نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، ط١، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٩٨٤م.
- ابن جماعة، بدر الدين (ت٧٢٣هـ / ١٣٣٢م). تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ / ١٠٠٤م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م). إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ضبطه وصححه: عبدالوارث محمد، ط١، بيروت، دار

- الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).
- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
 - ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).
 - المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٨م.
 - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
 - العبر في خبر من غير، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية.
 - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٨٠٥م).
 - تاج العروس من جواهر القاموس، عبدالفتاح الحلوة، الكويت، ١٩٨٤م.
 - السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٤٦٥م).
 - معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد فتحي النادي، ط ١، القاهرة، مؤسسة العلياء، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
 - السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م).
 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
 - شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب (٧٢٧هـ / ١٢٢٩م).
 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار العرب، ٢٠١٣م.
 - الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
 - الوافي بالوفيات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت، فرانز شتايز شتو تغارت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
 - بن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٢١هـ / ١٥١٥م).

- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصوالحية، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة.
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٦٠م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمد الأرنؤوط، ط ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- القاسمي، محمد سعيد (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م).
- قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظاهر القاسمي، ط ١، دمشق، دار طلاسي، ١٩٨٨م.
- الكنتي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن كثير، إسماعيل بن علي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو مسلم، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ابن المبرد، يوسف بن حسن (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م).
- رسائل دمشقية، تحقيق: صلاح محمد الخيمي، ط ١، بيروت، دار الكثير، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.
- المقرئزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمد عثمان، ط ١، لبنان، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م).
- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق: لطيفة الحسني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

المراجع

إبراهيم زعرور

- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي، والمملوكي، دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

أكرم حسن العلي

- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ط١، الشركة المتحدة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

حسن الباشا

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.

صلاح الدين المنجد

- مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، ط١، بيروت، دار الكتب الجديد، ١٩٦٧م.

عبدالعزیز العمري

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط١، الدوحة، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، ١٩٨٥م.

فؤاد العادل

- المجتمع الشامي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

قتيبة الشهابي

- معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشدات وموقعها وتاريخها، دمشق، وزارة الثقافة السورية، ١٩٩٩م

محمد أحمد زيود

- حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، دمشق، دار الفكر.

محمد حسين محاسنه

- تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دمشق، الأوائل، ٢٠٠١م.

محمد كرد علي

- خطط الشام، ط٢، دمشق، مكتبة النوري، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

مفيد كيال

- فنون وصناعات دمشقية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ناصر محمد الحازمي

- الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.